**الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية: دراسة مقارنة**

**محمد أحمد الزعبي**

Mohammad Ahmad Alzoubi

دكتوراه الفلسفة في التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية/جامعة اليرموك/الأردن

**سوزان نبيل الشرايري**

Suzan Nabeel Alsharairy

دكتوراه الفلسفة في التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية/جامعة اليرموك/الأردن

**المستخلص:** هدفت الدراسة إلى بيان طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية، من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، القائم على جمع البيانات وتحليلها، وقد خلصت إلى نتائج عدة، من أبرزها: إنّ النظرية التربوية الإسلامية هي مجموعة من المبادئ والمفاهيم والحقائق المترابطة والمتسقة فيما بينها، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تؤثر بشكل مباشر في جميع مسارات العمل التربوي، سواء العمل التربوي الفكري أم العملي؛ بهدف إعداد الفرد والجماعة للحياة الدنيا، والفوز بالآخرة، كما خلصت إلى أنّ طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية تتكون من جانبين مهمين، هما: المصدرية والتكاملية، وهذا بدوره ينعكس على الإنسان والكون والحياة، وخلصت أيضاً إلى أنّ النظرية التربوية البرجماتية لا تعترف بالوحي مصدراً من مصادر المعرفة، وقد اختلفت فيما بينها من حيث رؤيتها للمعرفة ومعرفة مصدرها وأداتها، وهي في الغالب ترى أنّ مصدر المعرفة هو العقل، الأمر الذي أبعدها عن النور السماوي المبين، بحجة مقدرتها على الوصول إلى الصواب عن طريق العقل وحده، وأوصت الدراسة المسؤولين بمراجعة دائبة للصياغات والأعمال التربوية، ومحاكمتها من منظور تربوي إسلامي، بالإضافة إلى ضرورة تكامل مصادر المعرفة بين عالمي الغيب والشهادة؛ لدفع ما قد يُتوهم من تعارضهما تعارض العلم والدين، وضرورة إفراد دراسات مقارنة بين النظرية التربوية الإسلامية وغيرها من النظريات الأخرى؛ للكشف عن آثار التبعية التربوية الغربية، ومن ثم التأكيد على ضرورة الأخذ بالمنهج التربوي الإسلامي؛ ليكون ذلك ركيزة أساسية في طريق الإصلاح التربوي.

**الكلمات المفتاحية:** الغيب، النظرية التربوية، الإسلام، البرجماتية.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**The revelation in the Islamic Educational Theory and the Pragmatic Educational Theory, a comparative study**

**Abstract**: The study aimed to state the nature of revelation in the Islamic educational theory and the pragmatic educational theory, by relying on the descriptive analytical and comparative approach, which is based on gathering data and analyzing them, it has reached several conclusions, most notably: the Islamic educational theory is a group of : principles, concepts and facts that are interrelated and consistent together, which is derived from the holy Quran and Sunnah, which effects directly all tracks on the educational work whether intellectual educational work or practical one, aiming to prepare the person or the group for the life of the world and the victory of the hereafter, and it has reached that the nature of the revelation in the Islamic educational theory consists of two important sides: source and integration, this in turn reflects on human, universe and life.

The study has also reached that the pragmatic educational theory denies revelation and considers experience and human activity the major source to get knowledge , the matter that took it away from the heavenly light shown under the pretext of its ability to reach the rightness to experiment alone.

The study recommended the officials with a constant review for the formations and the educational works, and to trail it from an Islamic educational perspective, in addition to the importance of the integration of knowledge resources between the worlds of unseen and certificate, to get away any fancy conflict of their own is opposed to science and religion, and the need to establish a comparative studies between the Islamic educational theory with the other theories to detect the effects of the western educational dependency and then emphasize on the importance of adapting the Islamic educational curriculum to be a main fundamental pillar in the of the educational reform.

**Key words:** Revelation, Educational theory, Islam, Pragmatism.

**مقدمة**

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العظيم**:** {الم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون \* والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون \* أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}(1-5) البقرة. والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فالعقيدة الصحيحة هي أصل الإسلام, ومعلوم بالأدلة الشرعية أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإذا كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أقوال وأعمال، قال تعالى: {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين}(5) المائدة. وعلى أساس هذه العقيدة الصحيحة ينبغي تربية الفرد وتهيئة عقوله وفكره وتصوراته.

وإنّ من تربية العقيدة الصحيحة للإنسان المسلم، تربيته على أن له طاقات ومعارف عقلية مرتهنة بمعارف غيبية حجب عنها فلا قِبَلَ له بها، لذلك قدّم الله تعالى له في القرآن منهاجاً غايةً في الكمال، فقدّم له بياناً شافياً في العقيدة التي ارتضاها، وتفصيلاً في الشريعة التي أرادها، وحدد له المسلك القويم في العلم والعمل؛ ليكون على الطريق المستقيم، وأفاض عليه من المعارف والعلوم، ووهبه من القدرات والآليات، ومهد له من الإمكانات ما يعينه على بلوغ المراد.

ومن العلوم والمعارف التي أفاضها الله تعالى على الإنسان، تلك التي جاءت متصلة بموضوع (الإيمان أو العقائد أو الغيبيات)، والتي كانت على قدر منسجم وملائم لحاجات الإنسان ورغباته المعرفية والجسمية والنفسية إلى أن أدبر عن ذلك النور الإلهي ليبحث عن نهج آخر بوساطة العقل بما يناسب شهيته، فكان ذلك الانحراف عن جادة الصواب، حتى انعكس ذلك على الواقع الذي تتعدد فيه النظريات التربوية بتعدد الآراء والأفكار، فكان اهتمامهم بجوانب على حساب جوانب أخرى، وبما يلائم أفرادها ومجتمعاتها، لذا فإنّ أفكارهم حول المعارف الغيبية قد تُنسج بخيوط الخيال لدرجة أنّ بعضهم وضع المعارف الغيبية موضعاً ثانوياً يحاكي الأساطير، وقد اتخذها البعض الآخر مشروعاً للتكسب وطريقة لتزييف الحقائق، في حين أنكر البعض تلك المعارف الغيبية جملة وتفصيلاً، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للحديث عن الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية دراسة مقارنة.

**مشكلة الدراسة**

إنّ المتأمل في الفلسفات التربوية يلحظ اختلافاً واسعاً حول طبيعة المعرفة وإمكانها ومصادرها، كما يلحظ عدم توافر دراسة متخصصة للتّعرف على طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية مقارنة بالنظرية التربوية البرجماتية، رغم أهميتها والحاجة الماسة إليها؛ كون الغيب يؤثر في النظرية التربوية الإسلامية بشكل مباشر؛ لأنه يعد أصلاً من أصول المعارف اليقينية الكبرى، ومن هنا باتت الحاجة ملحة إلى الكشف عن الغيب في النظرية التربوية الإسلامية مقارنة بالنظرية التربوية البرجماتية يُسهم في تأصيل المفاهيم التربوية، ودفع ما قد يُتوهم من أنّ الغيب شأنه شأن الفلسفات الأرضية المختلفة، من أنها قريبة من الخيال أو الأساطير، أو إنكار تلك المعارف الغيبة من الأساس، لا سيما في هذا العصر الذي يتسم بالمادية والحسية، والاعتماد على التجارب العملية للوصول إلى المعرفة، وبالتالي فإنّه بالإمكان الكشف عن تأثير مثل تلك الفلسفات على التربية في الإسلام، ومن هنا فإنّ مشكلة الدراسة تتمحور حول طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية مقارنة بالنظرية التربوية البرجماتية، وبشكل محدد فقد سعت الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية؟ والذي يتفرع عنه الأسئلة الآتية:

* ما مفهوم النظرية التربوية الإسلامية؟
* ما طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية؟
* ما طبيعة الغيب في النظرية التربوية البرجماتية؟
* ما أوجه المقارنة بين طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية؟

**أهداف الدراسة**

* بيان مفهوم النظرية التربوية الإسلامية
* الكشف عن طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية
* الكشف عن طبيعة الغيب في النظرية التربوية البرجماتية
* إبراز أوجه المقارنة بين طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية؟

**أهمية الدراسة**

* تدفع ما قد يُتوهم من أنّ الغيب في النظرية التربوية الإسلامية شأنه شأن الفلسفات البشرية، لا سيما الفلسفة البرجماتية.
* تكشف عن طبيعة النظرية التربوية الإسلامية مقارنة بالنظرية التربوية البرجماتية، وبالتالي تعد هذه الدراسة ضمن الدراسات المقارنة التي تسهم في إفادة المربين ومخططي المناهج في الوقوف على الأبعاد الخطيرة في تبني مناهج مصادرها المعرفية غير صحيحة، وتأثيرها على التربية في الإسلام.
* ترجمة المعرفة الغيبية إلى صورة فاعلة بعيداً عن الطرح الذهني المجرد، كون الإيمان بالغيب يمثل في النظرية التربوية الإسلامية الدافع الأول، والمحرك الرئيس للسلوك الإنساني.
* إثراء المكتبة التربوية وسد النقص الحاصل فيها والمتعلق بهذا الموضوع، وبالتالي فإنّ الدراسة قد تساعد على فتح المجال أمام الباحثين لإجراء بحوث ودراسات مقارنة مشابهة لنظريات تربوية أخرى.

**حدود الدراسة**

تتحدد الدراسة بتناولها موضوع الغيب في النظرية التربوية الإسلامية، مقارنة بالنظرية التربوية البرجماتية.

**منهجية الدراسة**

اقتضت الدراسة الحالية استخدام المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، من خلال جمع البيانات وتحليلها حول موضوع الغيب في النظرية التربوية الإسلامية، ثم مقارنتها بالنظرية التربوية البرجماتية.

**الدراسات السابقة**

من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية، ما يأتي:

* دراسة (خطاطبة، 2007) بعنوان: "المعرفة الغيبية في الإسلام ووظائفها التربوية" والتي هدفت إلى بحث المعرفة الغيبية ووظائفها التربوية من خلال المعرفة الغيبية التي حددها بكونها المعلومات والمفاهيم المتلقاة عن طريق الوحي مما لا يدركه الحس من أصول الإيمان ومتعلقاتها، وخلصت الدراسة إلى عدة أمور أهمها: إنّ المصدر المطلق للمعرفة الغيبية في الإسلام هو الله تعالى، وطريق الخْلق للوصول للمعرفة الغيبية تكون عن طريق الوحي أو الأنبياء والرسل، والمعرفة الغيبية أصل من أصول المعارف الكبرى في الإسلام.
* دراسة (خطاطبة، 2010) بعنوان: "الأصل العقدي للتربية الإسلامية" والتي هدفت إلى بلورة تصور متكامل للأصل العقدي للتربية الإسلامية، يتفق مع مفهوم الإيمان ومركزيتها في منظومة الدين الإسلامي، ودورها التربوي الأصيل في إطار نسقية الإسلام ومنهجيته العلمية، وخلصت إلى عدة أمور أهمها: إنّ العقيدة الإسلامية تمد النظرية التربوية بحقائق يقينية فريدة ضمن سياقها الوجودي، كما تمد مجال الأهداف التربوية بالغائية المنسجمة مع فطرة الإنسان، وتؤسس لعلاقة وطيدة بين العلم والإيمان في المنهاج التربوي.
* دراسة (الشريفين، ومطالقة، ونصيرات، 2013) بعنوان: "مصادر المعرفة في القران الكريم والفلسفات التربوية" والتي هدفت إلى الكشف عن مصادر المعرفة في الفلسفات التربوية الوضعية، ونقدها في ضوء مصادر المعرفة في القران الكريم، وكشفت الدراسة عن اختلاف حاد في نظرة الفلسفات التربوية إلى مصادر المعرفة، وإنّ مصادر المعرفة في الفلسفات تعد مصدراً من مصادر المعرفة في القرآن الكريم.
* دراسة (الحراحشة، 2010) بعنوان: "الكون بين التربية الإسلامية والتربية الوضعية" والتي هدفت إلى أمور عدة أهمها: الكشف عن حقيقة الكون في التربية الإسلامية مقارنة بالتربية الوضعية، وتوضيح علاقة الإنسان بالكون، وبيان التطبيقات العملية لتلك العلاقة، وخلصت إلى إنّ الكون في أصله في التربية الإسلامية مخلوق من مخلوقات الله، وبالمقابل كان الخلاف بين النظريات الوضعية تجاه أصل الكون؛ وذلك بسبب اختلاف فلسفاتهم التي تقوم في مجملها على إنكار الخالق.

**ما يميز الدراسة الحالية:**

يلحظ من خلال استعراض الدراسات السابقة خلوها من الدراسات التي تتناول الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية على وجه الخصوص، من خلال التعريف بالغيب، وبيان طبيعته في النظرية التربوية الإسلامية، ومن ثم مقارنة ذلك بالنظرية التربوية البرجماتية، الأمر الذي يساعد المعنيين بالتعليم في العالم العربي والإسلامي بالنظر في فلسفاتهم التعليمية وفق الرؤية الشرعية، والحذر من تأثير تلك الفلسفة على التعليم في الإسلام.

**التعريفات الاصطلاحية والإجرائية:**

* النظرية: مجموعة من المفاهيم والقواعد المستمدة من مصادرها، والتي تقوم بتوجيه الممارسات، وضبط كل ما يتعلق بالموضوع.
* النظرية التربوية: مجموعة من المفاهيم والقواعد المستمدة من مصادرها، والتي تعمل على توجيه وضبط العمل التربوي.
* النظرية التربوية الإسلامية: مجموعة المبادئ والمفاهيم والحقائق المترابطة والمتسقة فيما بينها، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تؤثر بشكل مباشر في جميع مسارات العمل التربوي، سواء العمل التربوي الفكري أم العملي؛ بغية إعداد الفرد والجماعة للحياة الدنيا، والفوز بالآخرة.
* التربية الإسلامية: مجموعة من المفاهيم والقواعد المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذه المفاهيم القواعد تتسم بالاتساق والتكامل فيما بينها، حيث تقوم على تشكيل السلوكيات الفردية والجماعية؛ بغية تحقيق العبودية لله تعالى في الدنيا، والفوز بالآخرة.
* الغيب: "هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بداهة العقل" (التهانوي، ج2، ص1256).

**خطة الدراسة**

* المقدمة، وتحوي: مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجيتها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.
* المبحث الأول: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، وفيه:

أولاً: مفهوم النظرية في اللغة

ثانياً: مفهوم النظرية في الاصطلاح

ثالثاً: مفهوم النظرية التربوية

رابعاً: مفهوم التربية الإسلامية

خامساً: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية

* المبحث الثاني: الغيب في النظرية التربوية الإسلامية، وفيه:

المطلب الأول: مفهوم الغيب، وفيه:

أولاً: مفهوم الغيب في اللغة

ثانياً: مفهوم الغيب في الاصطلاح

ثالثاً: مفهوم الغيب في القرآن الكريم

رابعاً: مفهوم الغيب في السنة النبوية

المطلب الثاني: طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية، وفيه:

أولاً: طبيعة الغيب ومصدريته في النظرية التربوية الإسلامية

ثانياً: تكامل عالمي الغيب والشهادة في النظرية التربوية الإسلامية

* المبحث الثالث: الغيب في النظرية التربوية البرجماتية
* المبحث الرابع: أوجه المقارنة بين طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية
* الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات
* فهرس المصادر والمراجع

**المبحث الأول: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**

يتناول هذا المبحث مفهوم النظرية في اللغة والاصطلاح، ومفهوم النظرية التربوية، ومفهوم التربية الإسلامية، ومن ثم بيان مفهوم النظرية التربوية الإسلامية.

**أولاً: مفهوم النظرية في اللغة:**

تورد المعاجم اللغوية مجموعة من الدلالات لكلمة ) نَظَرَ)، وتُظهر الأصول اللغوية أنّ كلمة ) نَظَرَ) تتعدد مواردها ومعانيها، فقد استخدم العرب هذا الفعل للدلالة على معان عدة: نَظَرَ: النون والظاء والراء، أصل صحيح، يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو: تأمّل الشيء ومعاينته (ابن فارس، ج5، ص444). والنَّظَر: الفكْر في الشيء (ابن منظور، ج3، ص484). وتأمل الشيء بالعين (الفيروز آبادي، ص 484). ونَظَرَ بين الناس: حَكَمَ وفصل بينهم (إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2، ص932). قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}(22-23) القيامة.

مما سبق يمكن الخروج بالنتيجة الآتية: إنّ مفهوم كلمة (نَظَرَ) في اللغة يدل على التفكر والتأمل، وإدراك الشيء من خلال العين (الرؤية البصرية)، كما يدل على الحكم والفصل بين الناس

**ثانياً : مفهوم النظرية في الاصطلاح**

يعد مصطلح النظرية من فئة المصطلحات المنتمية، لذا يجب على التربوي أن يكون واعياً في تعامله مع مصطلح النظرية، ومعانيه المتعددة (خطاطبة، 2010). فاختيار المربي لأحد هذه المعاني باعتباره أقرب للتربية، وإقامة بنيانه التربوي عليه أمر يكشف عن معتقداته وقيمه واتجاهه (الحاج، 1991). ومن أبرز التعريفات العامة لمصطلح "النظرية" ما يأتي:

"فرضية أو مجموعة مترابطة من فرضيات تثبت صحتها عن طريق المشاهدة والتجربة" (الحاج، 1991، ج2، ص320).

"عملية تجميع وترتيب للحقائق وتقديمها بشكل متناسق يساعد على توظيف تلك الحقائق في عالم الواقع" (خياط، 2003، ص17).

"مجموعة من المفاهيم والقواعد المترابطة المستمدة من الكتاب والسنة القادرة على توجيه الممارسات العملية" صالح، 1991، ج2، ص495).

وعليه، يمكن تعريف النظرية في الاصطلاح على أنها: مجموعة من المفاهيم والقواعد المستمدة من مصادرها، والتي تقوم بتوجيه الممارسات، وضبط كل ما يتعلق بالموضوع.

**ثالثاً: مفهوم النظرية التربوية**

تختلف النظرية في مجال الدراسات التربوية من تربية لأخرى، ومن مجتمع لآخر؛ لأن فلسفات التربية مختلفة وعلومها التربوية متطورة باستمرار من حيث المحتوى والأهداف (يالجن، 1991). وقد عُرِّفت النظرية التربوية بعدة تعريفات، من أبرزها:

"مجموعة من المبادئ المنظمة المترابطة، والإرشادات الموجهة إلى المعنيين بالممارسات التربوية" (مور، 1986، ص23).

"مبادئ متسقة توجه العملية التربوية وتحكم الممارسات التعليمية" (مدكور، 1990، ص271).

"مجموعة من النشاطات العملية المرتبطة بعضها ببعض، تظهر في صورة نظرية علمية معينة، تبدأ بتصورات نظرية تكون بمثابة موجهات للنشاطات التطبيقية" (أحمد، 2003، ص63).

من خلال التعريفات السابقة، وبناءً على الاختيار المتقدم في تعريف (النظرية)، يمكن تعريف (النظرية التربوية) بأنها: مجموعة من المفاهيم والقواعد المستمدة من مصادرها، والتي تعمل على توجيه وضبط العمل التربوي.

**رابعاً: مفهوم التربية الإسلامية**

لا يجوز للباحث في قضايا التربية الإسلامية أن يكون تعريفه للتربية الإسلامية مجرد موقف اجرائي وتكميلي في مقدمات الدراسة، ثم ما يلبث أن ينبتّ عنه في الرؤى والتحليلات والاستنتاجات التي يحتويها صلب الدراسة (خطاطبة، 2010). ومن أبرز تعريفات التربية الإسلامية، ما يأتي:

* "تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه، وعواطفه، على أساس الدين الإسلامي، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة" (النحلاوي، 1979، ص26).
* "تلك المفاهيم والقيم والأساليب والاتجاهات المتضمنة في آيات القران وسنة الرسول العظيم، والتي تتصل بتربية الإنسان في جوانب شخصيته المختلفة" (علي، 1993، ص6).
* "تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة: من الناحية الصحية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه، في ضور المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها" (يالجن، 1986، ص26).

يُلحظ من التعريفات السابقة أنها اشتركت في الإشارة إلى أنّ التربية تريد أنْ ترقى بالإنسان وتوصله لمراحل الكمال والنضج تارة، وتعده له تارة أخرى، وبذلك يُخلص إلى تعريف التربية الإسلامية بأنها: مجموعة من المفاهيم والقواعد المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذه المفاهيم القواعد تتسم بالاتساق والتكامل فيما بينها، حيث تقوم على تشكيل السلوكيات الفردية والجماعية؛ بغية تحقيق العبودية لله تعالى في الدنيا، والفوز بالآخرة.

**خامساً: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**

عند الحديث عن مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، يعني الحديث عن مفهوم النظرية التربوية المستمدة من الإسلام، وللباحثين المختصين في مجال التربية الإسلامية تعريفات عدة للنظرية التربوية، ومن أبرزها ما يأتي:

- "مجموعة مترابطة من المبادئ والقواعد والمفاهيم التربوية المستمدة من القران الكريم والسنة المطهرة، والتي هي بمثابة الأصل المتين الذي يقوم عليه البناء التربوي الصالح" (التوم، 1991، ج2، ص330).

- "مجموعة من التصورات والمفاهيم والأفكار والأهداف والأحكام والقيم ذات الحد الأقصى من التجريد، والعمومية المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية، وفي ضوئها يمكن تفسير العمليات التربوية الإسلامية وتبريرها وتقويمها اعتباراً من أصولها ومنهجها وأساليب ووسائل تحقيقها وتنفيذها" (يالجن، 1991، ج2، ص399).

- "مفهوم يشمل فلسفة التربية الإسلامية في الإسلام، والأهداف التي تتطلع إلى تحقيقها في ضوء فكرة الإسلام الكلية عن الوجود الإنساني، وعلاقته بالخالق والكون والحياة، كما يشمل الميادين التي أوجبت هذه التربية معالجتها، والمناهج والمبادئ والأساليب والوسائل التي تراها هذه النظرية لتحقيق هذه الأهداف وتقويمها" (خياط، 2003، ص7).

- "ما في الإسلام من أصول ومبادئ تربوية تنتظم في منظومة فكرية واضحة المعالم محددة القسمات متدرجة متكاملة شاملة لكل جوانب التربية في جانبيها الفكري والعملي" (الكيلاني، 1985، ج2، ص20).

إنّ التعريفات السابقة تمثل اجتهادات الباحثين التربويين المسلمين في مشروعهم لبناء نظرية تربوية إسلامية، وعند النظر في تلك التعريفات يلحظ أنّ مفهوم النظرية التربوية الإسلامية يتحدد بعدة أمور، يمكن أن نسميها ديناميكية مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، والمتمثلة بالآتي:

إنّ مفهوم النظرية التربوية الإسلامية يتكون من مبادئ ومفاهيم وحقائق مترابطة ومتسقة فيما بينها.

وتلك المبادئ والمفاهيم والحقائق مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية.

التأثير المباشر والكامل للنظرية التربوية الإسلامية في العمل التربوي.

وعليه يمكن تعريف النظرية التربوية الإسلامية، بأنها: مجموعة المبادئ والمفاهيم والحقائق المترابطة والمتسقة فيما بينها، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تؤثر بشكل مباشر في جميع مسارات العمل التربوي، سواء العمل التربوي الفكري أم العملي؛ بغية إعداد الفرد والجماعة للحياة الدنيا، والفوز بالآخرة.

**المبحث الثاني: الغيب في النظرية التربوية الإسلامية**

يتناول هذا المبحث مفهوم الغيب في اللغة والاصطلاح، ومن ثم مفهوم الغيب في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأنّ هذا المفهوم شرعي يحتاج الرجوع إلى مصادره الأصيلة؛ للوقوف على المعنى المراد، ومن ثم يتناول طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية، وذلك من خلال المطالب الآتية:

**المطلب الأول: مفهوم الغيب في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم والسنة النبوية**

**أولاً : مفهوم الغيب في اللغة**

"غَيْب: الغين والياء والباء، أصل صحيح يدل على تسّتر الشيء عن العيون (ابن فارس، 1979، ص808). وغاب عني الأمر غيبا وغيابا وغيبة وغيبوبة وغيوباً ومغاباً ومغِيباً، وغاب الرجل غيبا ومغيباً وتغيب: سافر" (ابن منظور، 1994، ج1، ص654). والغيب: خلاف الشهادة، فغاب غيبا، خلاف شهد وحضر" (إبراهيم مصطفى وآخرون، د. ت، ج2، ص667). ويقال للشيء: غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء" (الأصفهاني، 2009، ص277). فالمعنى الُّلغوي للغيب يشير الى استتار الشيء عن حواس الإنسان.

**ثانياً: مفهوم الغيب في الاصطلاح**

أما المعنى الاصطلاحي للغيب فقد ذكر العلماء له تعريفات عِدة، منها ما يأتي:

* "هو كل ما غاب عن العيون، سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل" (ابن الأثير، 1963، ج3، ص399).
* "الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بداهة العقل" (التهانوي، 1996، ج2، ص1256).
* "كل غائب عن الحاسة وعن علم الإنسان" (الأصفهاني، 2009، ص277).

يلحظ من التعريفات السابقة أنها تشترك في وصف الغيب بالخفاء عن الإنسان، ولكنها تختلف في مستوى الخفاء ودرجته.

**ثالثاً: مفهوم الغيب في القران الكريم**

في هذا الجانب سوف يتم تناول مفهوم الغيب كما جاء في القرآن الكريم، وبالتالي يحتاج الرجوع إلى أقوال المفسرين؛ لتوضيح المقصود منه، وسيُكتفى ببيان مفهوم الغيب في الآية الثالثة من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون}(3) البقرة.

* قال القرطبي (2004، ج1، ص115): اختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا، فقالت فرقة: الغيب هو الله تعالى، وضعفه ابن العربي، وقال آخرون: القضاء والقدر، وقال آخرون: القرآن الكريم وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: كل ما أخبر الله به الرسول مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار، ثم فسر القرطبي الغيب ما جاء في حديث جبريل فقال: "وهذا الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل
* قال الآلوسي (د. ت، ج1، ص114): والذي يميل إليه القلب أن الغيب في آية البقرة السابقة ما أخبر به الرسول \_صلى الله عليه وسلم\_ من حديث جبريل \_عليه السلام\_.
* قال ابن عاشور (1984، ج1، ص229): والمراد بالغيب ما لا يدرك بالحواس مما أخبر الرسول \_صلى الله عليه وسلم\_ صريحاً بأّنه واقع أو سيقع، مثل: وجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة والشياطين، وأشراط الساعة، وما استأثر الله بعلمه.

وجاءت مادة الغيب في القران الكريم في ستة وخمسين موضعاً، ووردت بمعان مختلفة، من أبرزها الآتي: (العموش، 2010):

* كل ما غيَّبه الله سبحانه عن عباده، قال تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون}(3) البقرة.
* بمعنى الوحي والقرآن، قال تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِين}(24) التكوير.
* بمعنى حوادث القدر، قال تعالى:{وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ}(188) الأعراف.
* بمعنى عِلْم الغيب، قال تعالى: {أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُون}(41) الطور.
* بمعنى غيبة الزوج، قال تعالى:{فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ}(34) النساء.
* بمعنى قعر البئر، قال تعالى: {وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ}(10) يوسف.
* بمعنى الظن، قال تعالى: {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيد}(53) سبأ.
* بمعنى ملازمة العذاب الكفار، قال تعالى:{وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِين}(19) الانفطار.
* بمعنى أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء، قال تعالى:{فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِين}(7) الأعراف.

والمتأمل في مجمل ما سبق، يجد أن مصطلح الغيب يدور حول معنى: ما استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن عباده، وما جاء على غير هذا المعنى، فهو صادر منه، وراجع إليه.

**رابعاً: مفهوم الغيب في السنة النبوية**

ورد مفهوم الغيب في السنة المطهرةفي أحاديث عديدة، من أبرزها الآتي:

* **الحديث الأول**: (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} [الأنعام: 103]، «وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الغَيْبَ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: لاَ يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (البخاري، 2001، ج9، حديث رقم: 7380).
* **الحديث الثاني:** (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمِكَ، نَافِذٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ غَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ غَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ بِحُزْنِهِ فَرَحًا) (البزار، 1988، ج1، حديث رقم 1990).
* **الحديث الثالث:** (عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارٌ صَلَاةً أَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ بِدُعَاءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي...) (ابن أبي شيبة، 1997، ج1، حديث رقم: 442).

ففي هذه الأحاديث يلحظ أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم- يعتبر الغيب علماً، ويقرن بين كلمتين هما: (العلم/ والغيب) على اعتبار أنّ الغيب لا يتناقض مع العلم، وعلى اعتبار آخر هو أنّ الإيمان بالغيب يجب أن يكون عميقاً إلى درجة اعتباره علماً، ثم الإشارة إلى أنّ العلم الحقيقي هو علم الغيب.

يلحظ أنّ مفهوم الغيب في السنة النبوية يوافق ما جاء في القرآن الكريم في الدلالة على ما استأثر الله به، وحجب علمه عن عباده، وعليه فمدار مفهوم الغيب في الاصطلاح الشرعي على أّنه ما أخبر به الشارع مما لا يقع تحت الحواس من أصول الإيمان ومتعلقاتها التي تضمنها حديث جبريل المشهور.

**المطلب الثاني: طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية**

إنّ أي نظرية تتطلب رؤية معينة للمفاهيم الوجودية، فما من نظرية كانت تربوية أم اجتماعية أم اقتصادية أم غيرها، إلا وانبثقت من عقيدة تحدد وجهتها ونظرتها تجاه الكون والحياة والإنسان، لذا فالحديث عن الغيب في هذا الإطار هو الحديث عن مكون مهم من مكونات النظرية التربوية الإسلامية، وجزء من طبيعتها الذي تظهر آثاره في تطبيقاتها، وبالتالي فإنّ هذا المطلب يتضمن جانبين: الأول جانب طبيعة الغيب ومصدريته في النظرية التربوية الإسلامية، والثاني جانب تكامل عالم الغيب مع عالم الشهادة في النظرية التربوية الإسلامية.

**أولاً: طبيعة الغيب ومصدريته في النظرية التربوية الإسلامية**

يُقصد بمصدرية الغيب هنا: الاعتراف بالوحي كمصدر رئيس من مصادر النظرية التربوية الإسلامية، فما من شك أنّ المصدر الأول والأخير للمعرفة الغيبية في التصور الإسلامي هو الله تعالى وتبارك، "وفي عقيدة الإسلام الله هو مصدر كل المعارف في هذا الوجود؛ لأن الله سبحانه هو خالق الكون والإنسان والحياة والموت، وهو سبحانه مرسل الرسل، ومنزل الكتب، ولكنه سبحانه شاءت حكمته أن يجعل الوجود وجودين: وجود شهادة ووجود غيب؛ لكلٍّ خصائصه المميزة له، ومن ثم وجود معرفتين؛ معرفة غيب ومعرفة شهادة، وهو سبحانه عالم الغيب وعالم الشهادة" (جنزرلي، 1994، ص55). ويدلل على ذلك الكثير من الآيات كقوله تعالى:{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ}(59) الأنعام. وقوله: {وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}(123) هود. وقوله:{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}(26-27) الجن.

وبالتالي إذا تقرر أنّ الله تبارك وتعالى هو المصدر المتفرد بالغيب فالوحي هو الناقل الوحيد للمعرفة الغيبية، "والوحي من أبرز مصادر المعرفة الإسلامية، وأكثرها أهمية وشأناً وصدقاً وثبوتاً؛ لأنّ هذا النوع من المعرفة مصدره الأساس هو الله تعالى وتبارك، وهذا هو محور الخلاف بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي المادي، غربياً كان أم شرقياً**"** (خطاطبة، 2007، ص8). فالوحي هو من أهم مصادر المعرفة؛ فلا يدخله شك ولا يلحق به قصور، وهو من لطف الله بخلقه ورحمته بهم، فندرك من خلاله الحقائق المتعلقة بالعقائد والحياة والموت والبعث والحساب، والقيم الخلقية والاجتماعية (جنزرلي، 1994).

كما تظهر أهمية هذا المصدر من خلال ما جاء به الوحي الإلهي عن طريق الأنبياء\_عليهم السلام\_ من الإجابة الشافية عن أسئلة الإنسان الأساسية ومشكلاته الكبرى، فدله على الخالق، وحدد له المبدأ والمعاد، وفسر له الكون، وأعطاه مقاييس الخير والشر، فقد حدد له طريق الإيمان بالله واليوم الآخر (الزناتي، 1993). فالوحي يقدم أخباراً صادقة عن الغيب، ويطالب العقل والحواس بالتأكد من صدق هذه الأخبار، وكذلك يقيم معالم تحدد مسارات العقل والحواس عبر عالم الغيب؛ بغية حفظها من الجنوح إلى ميادين معرفية وهمية لا وجود لها، وتنقية الخبرات البشرية من الوهم والخرافة التي أفرزتها المنهجيات المعرفية الخاطئة (زرزور، د. ت).

ويتضمن الوحي مجموعة من المعارف الخاصة بالعقيدة مثل: أنواع التوحيد، وأركان الإيمان المختلفة، ونواقض الإيمان "وكذلك يتضمن المعارف الخاصة بالتشريع، فالإنسان بحاجة إلى شرائع وقوانين تنظم حياته الفردية والأسرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، قال تعالى:{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير}(14) الملك" (الكردي، 2003، ج2، ص230). وتتميز المعرفة الموحى بها من عند الله بأنها ربانية المصدر، قال تعالى:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى \* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}(3-4) النجم. وهي معرفة إيجابية ومتوازنة وواقعية ومعقولية.

والمعرفة في القران الكريم تتميز بالعديد من الأمور، من أهمها: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى:{الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد}(1) إبراهيم. وإنذار الناس من عذاب الله تعالى، وتبشيرهم بالجنة إن استقاموا على الطريق الصحيح، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}(28) سبأ. وإنارة الدرب للسائرين، قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}(203) الأعراف. وهداية الناس إلى الطريق المستقيم، قال تعالى:{وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}(16) المائدة.

"وهكذا، فإنه باستناد النظرية التربوية الإسلامية إلى الوحي كمصدر أصيل لها، يجعل منها نظرية تربوية مؤمنة بالغيب، لها ثوابتها وقواعدها العقدية والدينية التي لا تقبل التغير والتبدل، ولا تخضع لاختبارات الفرضيات التي تمارسها النظريات التربوية الغربية على مفاهيمها وآراء مفكريها ونتائج باحثيها" (خطاطبة، 2010، ص299). "فالمربي المسلم يستمد معتقداته التي توجه ممارساته العملية من كتاب الله وسنة رسوله، وأما التجريب الذي يدخل في بناء النظرية التربوية الإسلامية فإنه يلتزم بحدود لا يتعداها، ولا يقحم نفسه في مجالات يعجز عن مواجهتها"(عبد الله، 1991، ج2، ص490). وبناءً على هذا فالنظرية التربوية الإسلامية تعد الغيب مرجعاً أصيلاً، وبالتالي ترى الانعكاسات الفاعلة على أرض الواقع متمثلة بالأهداف والغايات المتكاملة، وعليه ستجد المناهج والمحتوى التعليمي يراعي المعرفة الغيبية، وكل ذلك بهدف تحقيق السعادة في الدارين.

من خلال ما سبق يُلحظ أنّ قدر الوحي يظهر كمصدر للمعرفة الغيبية في التصور الإسلامي بشكل عام؛ كي يعلم الإنسان مالا تدركه الحواس أو ما لا يصل إليه العقل، فينفرد الوحي بمعرفة عالم الغيب بعد أن يسلم العقل بوجوده، وبهذا يضمن الوحي راحة الإنسان من عناء التفكير والبحث الدائم بحيث لو اشتغل بذلك تعطلت مصالحه، أما قدر الوحي كمصدر للنظرية التربوية الإسلامية فهي خاصية جوهرية تقود إلى أهداف وغايات سامية متمثلة بمحتوى ومنهاج تربوي يراعي المعارف الغيبية.

**ثانياً: تكامل عالمي الغيب والشهادة في النظرية التربوية الإسلامية**

إنّ من كمال الإسلام موازنته بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فالقول بأنّ الغيب مصدر أساسي في النظرية التربوية الإسلامية هذا لا يعني بدوره إلغاء عالم الشهادة، بل على العكس فالمتتبع للنصوص الشرعية يجد أنّ عالم الغيب يتكامل ويتداخل مع عالم الشهادة "فالعلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة علاقة متكامِلة ومتبادلة ومتجدِّدة، وتتمثَّل هذه العلاقة بين أمرين: الأول: أنَّ أدلَّة عالم الغيب وبراهينه موجودة في عالم الشَّهادة، والثَّاني: أنَّ المخلوقات تبرز في عالم الغيْب إلى عالم الشَّهادة، وتنتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتظام واطِّراد، ومن أمثلة ذلك: الولادة والموت في عوالم الإنسان والحيوان والنبات" (الكيلاني، 2009).

ومما ورد به آي القرآن وفيه دلالة على تكامل عالمي الغيب والشهادة، ما يأتي: (الدغشي، 2002، ص137)

- قال تعالى:{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَال \* وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال}(12-13) الرعد. ففي الآية حديث عن الظواهر الكونية في ميدان الآفاق من عالم الشهادة مع ذكر بعض المخلوقات من عالم الغيب؛ كتسبيح الرعد بحمده والملائكة.

- قال تعالى:{اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُون} (2) الرعد. وفي الآية إشارة واضحة على إيراد العرش وهو من الغيب مع الظواهر الكونية المشاهدة كالشمس والقمر.

- قال تعالى:{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير \* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُور}(6-7) الحج. ففي الآية استدلال على البعث بمقدِّمات الإحياء للنبات في ميدان الآفاق من عالم الشهادة.

- وجميع مكوِّنات الوجود غيبًا كان أم شهادة هي مستسلمة لله تعالى، قال تعالى:{وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَال}(15) الرعد. وقال تعالى: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}(44) الإسراء. وأقسم تعالى على صدق الوحي بعالمي الغيب والشهادة مطلقًا، بقوله:{فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُون \* وَمَا لاَ تُبْصِرُون}(38-39) الحاقة.

"لذا فمهمَّة الوحي في عالم الشهادة تتمثَّل في إمداد الإنسان بالعلم المتَّصل بعالم الغيب؛ ليربطه به فينشأ تكامل للوحي مع العقل والكون، ويتمكَّن الإنسان من تحقيق غاية وجوده في عالم الشهادة، ولن يستردَّ العقل المسلم عافيته إلا أن يستعيد رؤيته الإسلامية الكاملة المبنية على التوحيد والوحدانية؛ ليتوحَّد عالم الغيب مع عالم الشهادة، والوحي مع العقل والكون" (أبو سليمان، 1989، ص15).

يتضح أنّ "مفهوم الغيب والشهادة في القرآن هو المفهوم الذي يحدِّد معنى الحياة والوجود، وغاية الحياة والوجود، وعلاقة ذلك بما وراء الحياة وما وراء الوجود، فمفهوم الغيب والشهادة هو الإطار الأشمل الذي يحدِّد معنى العقل الإنساني ودوره في الحياة، وحدود هذا الدور ومجالاته"(أبو سليمان، 1981، ص110). "والتضمين التربوي الخاصُّ بميدان الغيب والشهادة يتجسَّد في ارتكاز التربية الإسلامية على اعتبار العلاقة بين ميداني المعرفة (الغيب والشهادة) علاقة عضوية تكاملية" (الدغشي، 2002، ص140).

وفي هذا الجانب يقول سيد: "لا بُدَّ للمسلم من تفسير شامل للوجود يتعامل على أساسه مع هذا الوجود، ولا بُدَّ من تفسير يقرب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق: حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، وهذه تشتمل على حقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسان، وما بينها جميعًا من تعامل وارتباط؛ لأنه لابد من معرفة حقيقة مركز الإنسان في هذا الوجود الكوني" (سيد، 1983، ص5).

ويتوسَّع في مفهوم التكامل بين العلوم الدينية والعلوم التجريبية من خلال ما يلي: (الدغشي، 2002).

- ارتباط العلم بالعمل حيث يصبح العلم وسيلة والعمل غاية، ومن ثم يصبح العلم يحقق هدفًا غائيًّا ساميًا، وهو عبودية الإنسان لله تعالى.

- التفريق المعرفي وليس الوجودي بين أمور العبادة وأمور السيادة والخلافة التجريبية، وبتعبير أكثر دقة: التمييز الموضوعي بين عالمي الغيب والشهادة.

- إنّ خلافة الإنسان في الأرض وارتباطها بعلم الأسماء قد أدَّى إلى رفع النزاع بين الإيمان بالغيبيات والعلوم الدينية الإنسانية، من زاوية أنّ تحقيق هدف الخلافة لا يتحقَّق إلا بعلوم الغيب وعلوم الدين.

- هناك تلازُم بين حقيقة الخلافة لتحقيق العبودية، والعلم لتحقيق السيادة؛ بمعنى أنّ الدين والعلم مقوِّمان ضروريان لتحقيق هدف الإنسان الوجودي؛ مما يمنع أيَّ تعارض بينهما.

والغيب لا يقف على الطرف المقابل والنقيض للعلم؛ لأنّ العقيدة أو الإيمان هو عِلم بحد ذاته، وأنّ الغيب قائم على العلم أصلاً، بالإضافة إلى أنّ الغيب يتكامل مع العلم ويتفق مع معطياته، والنظرية التربوية الإسلامية لها خصوصيتها المستقلة، ونظرتها المميزة تجاه الكون والحياة والطبيعة الإنسانية، والمعارف المنبثقة من تلك النظرة تمثل لدى المسلم حقائق علمية لا تقبل الشك، وإن لم يتوصل إلى إثباتها المنهج المعملي التجريبي، قال تعالى:{وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}(105) الإسراء. وبالتالي فإنّ معارف الوحي هي الحقائق العلمية التي تمثل علماً له مسالكه المنهجية (الزنيدي، 1998). فالمعارف العقدية عن الذات الإنسانية، كونها مخلوقة، وأصلها إنساني لم يتطور من قرد، ومفطور على الخير والهدى، ويمتع بحرية، وفيه مكون الروح، وله مصير نهائي حتمي، وكذلك عن الكون وسننه، والحياة وسننها، والموت وطبيعته، كل هذه الأمور وغيرها تعد حقائق علمية لا تقبل الشك لدى النظرية التربوية.

والغيب قائم على العلم والأدلة البرهانية، ودلائله يقينية فطرية، وعقلية، وشرعية، بدرجة أوثق من حقائق العلم التجريبي المستندة على الاستقراءات الناقصة (الزنيدي، 1998، ص16). "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحُسْن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وشرعية دلَّ عليها القرآن وهدى الناس إليها" (ابن تيمية، 2000، ج1، ص292). والمنهج العلمي في تقرير العقيدة واضح في القران الكريم، حيث يرفض أن تبنى العقيدة على مجرد التقليد، أو الظن، بل لابد من البرهان، وهذا ما يؤكد أنّ العقيدة تقوم على أساس العلم.

فالغيب يتكامل مع العلم بدليل أنّ التاريخ لم يشهد تلك الفُرقة المصطنعة بين الإيمان والعلم (قطب، 2001). ولم يجر بينهما عداء وصراع مثلما شهده التاريخ الأوروبي (سعد الدين، 2001). حيث انتهت إلى الإيمان بالعلم التجريبي ونظرياته كبديل عن الدين والإيمان (زرزور، 1992). بل شهد الواقع الإسلامي تقدماً في كلا الجانبين، فكانت هذه الثنائية من سمات الحضارة الإسلامية، التي لم يجد العلم نفسه في ظلالها محاصراً، بل محرراً، مسلماً بقيادة العقيدة، وقيم الإيمان له (فرغل، 1990).

وعليه فالتصور الإسلامي يحتضن بين جنباته علاقة وطيدة بين الإيمان والعلم، وهذا بدوره يؤكد أصالة العقيدة في النظرية التربوية الإسلامية، كما وتفرض هذه العلاقة على المسؤولين التربويين مراجعة دائبة وتجديد متواصل للصياغات والأعمال التربوية في جانب المناهج والأهداف والمحتوى، التي كانت ولا تزال تتأثر بالنظريات الغربية والتي تضفي عليها بعض الفئات من التربويين المسلمين حالة من التقديس.

وبعد هذا العرض في بيان مصدرية الغيب وتكامل عالمي الغيب والشهادة في النظرية التربوية الإسلامية، يمكن الكشف بعض انعكاسات تلك الرؤية على الإنسان والكون والحياة، من خلال الآتي:

أولاً: انعكاس تلك الرؤية على الإنسان

وضّح القرآن الكريم حقيقة الإنسان وأصل خلقه، قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِين \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِين \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُون} (7-9) السجدة. ففي هذه الآية بيان واضح وشاف لحقيقة الإنسان وأصل خلقه، فهو مخلوق من مخلوقات الله خُلِقَ من طين، لا غير ذلك مما يقال في المؤلفات التربوية وغيرها من أنّ أصل خلقه من قرد أو ما شابه ذلك، قال ابن كثير (1999، ج6، ص360): "الله أحسن خلق كل شيء، وبدأ خلق آدم من طين، ثم جعل نسله من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، ثم سوّى آدم خلقاً سوياً مستقيماً، ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل".

فالإنسان مخلوق مكرم، قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}(70) الإسراء. وهو قادرٌ على الاختيار والتمييز بين الخير والشر، قال تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}(7-10) الشمس. وعليه مسؤولية عظيمة أبت المخلوقات حملها، قال تعالى:{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً}(72) الأحزاب.

ثانياً: انعكاس تلك الرؤية على الكون

الكون مخلوق لله تعالى، خلقه الله لهدف وغاية، وما كان اللعب والعبث باعثاً على ذلك، قال تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِين \* مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون}(38-39) الدخان. وهذا المخلوق خاضع لسنن الله تعالى وفق أقدار قدّرها الله، قال تعالى:{وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُون \* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم \* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيم \* لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون}(37-40) يس.

وهذا المخلوق قانت لله تعالى، مسخّر للإنسان، زاخر بالنعم، قال تعالى:{وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُون \* بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون}(116-117) البقرة. وقال تعالى:{اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَار \* وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار}(32-33) إبراهيم.

ثالثاً: انعكاس تلك الرؤية على الحياة

إنّ هذه الحياة هي دار اختبار وامتحان، وابتلاء للإنسان، قال تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير \* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}(1-2) الملك.كما أنها قصيرة وزائلة بالنسبة للحياة الآخرة، قال تعالى:{يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا \* يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا}(102-104) طه. فالحياة الدنيا دار كدح وتعب، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيه}(6) الانشقاق. ودار لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ}(20) الحديد.

والله تعالى وضع سنناً ونظاماً لهذه الحياة، فمن سار عليها ورعاها فاز فيها وأفلح، ومن خرج عليها خاب وخسر، قال تعالى:{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}(38) البقرة. أي: "فإما يأتينكم مني هدى من رسول مرشد، وكتاب مبين، فمن تبع هداي الذي أشرعه، وسلك صراطي المستقيم الذي أحدده، فلا خوف عليهم من وسوسة الشيطان، ولا مما يعقبها من الشقاء والخسران، ولا هم يحزنون على فوت مطلوب أو فقد محبوب؛ لأنهم يعلمون بهذه الهداية أنّ الصبر والتسليم مما يرضي الله تعالى ويوجب مثوبته، ويفتح للإنسان باب الاعتبار بالحوادث، ويقويه على مصارعة الكوارث، فيكون له من ذلك خير عوض عما فاته وأفضل تعزية عما فقده" (محمد رشيد، 1999، ج1، ص237).

**المبحث الثالث: الغيب في النظرية التربوية البرجماتية**

"إنّ النظرية التربوية البرجماتية لها منهجيتها الخاصة بها؛ وذلك حسب الفلسفة أو الإطار الفكري الذي تنبثق منه وتقوم عليه؛ لأنّ الفلسفة تنعكس بشكل مباشر على جميع عناصر العملية التربوية، فالفلسفة هي العلم العقلي المرتبط بحياة الناس وبفكرهم ومشاعرهم" (جعنيني، 2004، ص8). وفي هذا المبحث سوف يتم مناقشة قضية الغيب في النظرية التربوية البرجماتية.

**المطلب الأول: الغيب في النظرية التربوية البرجماتية**

إنّ البرجماتية هي المذهب العملي، أو فلسفة الذرائع، وتعود تلك التسمية إلى هرقليطس الذي ركز على فكرة التغير المستمر، وهو ما أكدت عليه البرجماتية (تركي، د. ت). وقد تأثرت البرجماتية بالتراث التجريبي البريطاني، وتنسب أصلاً إلى الفلسفة الوضعية المنطقية التي نشأت على يد) اوجست كونت)، ثم امتدت إلى انجلترا بسبب جهود (هربرت سبنسر)، ومنها انتقلت إلى الولايات المتحدة الامريكية، حيث دعا اليها (تشارلز بيرس) الذي ركز على استخدام الطريقة العلمية في فحص الأفكار تجريبيًا، وانتشرت على يد) وليم جيمس) الذي أكد على تطبيقها في مجالات علم النفس والدين والتربية، وطورها (جون ديوي) الذي عمل على تطبيقها في المجال التربوي (رشوان، 1995). ويمكن استخلاص المبادئ الفكرية الفلسفية للبرجماتية من خلال تأكيدها على أن وجود الفكرة أو نفيها إنما يكون على أساس التجربة، فالفكرة عن الشيء تكون من خلال النتائج، والعبارات الميتافيزيقية باطلة لانعدام البرهنة عليها، والمعرفة أداة من أدوات خدمة العمل" (حسن، 1996، ص46).

فالمعرفة عندهم لا تكون إلاّ بعد التجربة؛ لأنها ثمرة نابعة من الخبرة "والمعرفة عند البرجماتيين تنطلق من الحواس وتنتهي بالتجربة، وتعد الحواس طريقاً أساسياً للتجربة العلمية" (جنزرلي، 1994، ص57). "وهذه النظرة إلى الحواس تقود للحديث عن التجربة الحسية عند البرجماتيين الذين يرون أنها تمثل دائرتين: الأولى دائرة الآثار الحسية، والثانية دائرة الأفعال أو السلوك، وكلاهما يقع في الخارج، وله صبغة حسية ويرون أنّ دائرة الآثار الحسية تحوي إلى جانب الآثار مجموعة من العلاقات التجريبية التي تقوم بين الأشياء" (هويدي، 1979، ص159).

ومصادر المعرفة في الفلسفة البرجماتية تتمثل بالآتي:

1. الخبرة: فالبرجماتية تنكر وجود المعرفة القبلية للإنسان أو المعرفة السابقة على التجربة، فالمعرفة نابعة من الخبرة والنشاط الذاتي للفرد وتفاعله مع البيئة المحيطة به، والمعرفة الحقة يجب أن تكون أدائية ووظيفتها استمرارها، وهي التي تساعد على إمكانية التطبيق والتغلب على مشكلات الحياة، وتوظيفها لخدمة أغراض الإنسان (هويدي، 1979). فالخبرة والنشاط هما المصدر الأساسي للمعرفة، وتهدف المعرفة المكتسبة من خلال التفاعل مع البيئة إلى التغلب على مشكلات الحياة والحصول على لقمة العيش.
2. الطريقة التجريبية: فالفلسفة البرجماتية تؤمن بالعمل والتجربة كمصدر لحل المشكلات وإصلاح المجتمع وتقدمه، وترى أن هدف الفكرة منفعتها بالتجربة، فالتجربة هي أساس الخبرة، وقيمة الفكرة تكون بآثارها العملية في حياة الناس، وكل فكرة لا تؤدي إلى سلوك في الواقع فكرة باطلة ولا يعول عليها (عبدالرحمن، 2002). "وقد يعبر عن التجربة عند البراجماتيين (طريقة الذكاء)؛ ويرون أن الذكاء في مواجهة المشكلة باقتراح الفروض لمعالجتها، وأن أنجح الفروض في حل المشكلة هو الفرض الذي يفسر وقائع المشكلة، وهذا ما يسميه ديوي قراراً مقبولاً" (مرسي، 1995، ص169).

ويعلي ديوي من شأن الطريقة التجريبية في الحصول على المعرفة، ويرى أنها مصدر مهم ووسيلة مهمة من وسائل الحصول على المعرفة، ويرى أن التجربة لا تقتصر على المسائل العلمية، وإنما تعمم على المسائل الاجتماعية والأخلاقية والتحقق من صحتها، فهو يرى أن الناس لا يزالون يتعلقون بمعتقدات لا أساس لها برأيه لإعفاء أنفسهم من مشقة التفكير المنطقي ومسؤولية تيسير نشاطهم الاجتماعي والأخلاقي حسب ما يقتضيه التفكير السليم (نيلو، 1977). يُلحظ من ذلك أنّ مهمة الطريقة التجريبية عندهم هي التحقق من صحة المعرفة سواء أكانت معرفة طبيعية تتعلق بالعلم، أم معرفة تتعلق بقضايا الإنسان المجتمعية والأخلاقية.

1. التفكير: "يرى ديوي أنّ التفكير يحدث نتيجة نشاط الفرد وتفاعله مع بيئته، ونتيجة لوجود مشكلة يرغب الفرد بالتغلب عليها، والتفكير يسير وفق خطوات هي: "شعور الفرد بالمشكلة، وأن يدرس العقل المشكلة، ويصل إلى قلب المشكلة، ويحدد أهم عامل يكمن ورائها، ويستعرض الاقتراحات والفروض كحلول ممكنة، ويختبر كل فرض مقترح، وأخيراً الملاحظة والتجربة، ويؤديان إلى قبول بعض الاقتراحات أو رفضها" (الشيباني، 1983، ص345). فالتفكير عندهم ناتج عن تفاعل الفرد مع بيئته؛ وبالتالي بإمكانه التغلب على المشكلات التي تواجهه، والتي يرغب بحلها حتى يحقق التكيف لذاته أو لنفسه.
2. البحث: "يلجأ الإنسان الى البحث القائم على التفكير إلا إذا واجهه موقف مشكل، عناصره متنافرة، لكي يحاول ان يدخل فيه من التغيير ما يزيل ذلك التنافر، أي ان نظرية البحث التي يعرضها (ديوي( لا تقبل الفكرة الا اذا أدت الى احداث تغيير في مادة الوجود الخارجي، يحقق هدفًا مقصودًا" (السحماوي، 2003، ص35).

وأما نظرة البرجماتية للكون فتتمثل بالآتي: (السورطي، 2008).

* الكون ليس ثنائيًا: ينكر البرجماتي مبدأ الثنائية في الكون، فالكون ليس مجردًا، بل تصل ويشتمل على الطبيعة والانسان.
* الكون محكوم بقوانين التغير والتقدم: كل الأشياء في الكون في حالة من التغير إلى الامام، فالإنسان ينمو حتى يصبح راشدًا، ثم يهرم، ويفنى، وكل الاشياء تنمو وتكبر وتشيخ، فكل العالم في حركة دائمة، وتغير دائم. والتقدم يعني هنا النمو والتحسن المطرد.
* الكون ليس آمنًا، والمستقبل مجهول: لا يوجد في الكون أمان تام، ولا يمكن توقع النتائج أو التغيرات، ولذلك فالشك يعتبر أمرًا حتميًا، أي أن الإنسان في محاولة تكيفه مع بيئته يجابه مواقف و أحداثًا قد تكون مؤلمة أو سارة. ويعتقد البرجماتيون أنّ القيم ليست ثابتة، ولا مطلقة.
* الكون متعدد: يعتقد البرجماتيون أنّ الكون متعدد، وأنه ذو معالم كثيرة، ومختلفة، ومتنوعة، وأنه ما زال في مرحلة التكوين، وعليه فالمستقبل مفتوح، ويستطيع الإنسان أن يشارك في تكوين المستقبل، وهو كون تتصارع فيه القوى، وتتعارض التيارات والاتجاهات، وينتفي الاستقرار والعالم في نظر البرجماتية هو المادة المتحركة والتطور المستمر الذي يعتري المادة والقيم والحقائق والزمان والمكان، وهو خاضع للتجربة والبحث العلمي، كما وتنظر إلى الكون على أنه المادة المتحركة، وكل ما في الكون في حالة من التغير، والإنسان يخلق عالمه من خلال تفاعله الاجتماعي.

**المبحث الرابع: أوجه المقارنة بين طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية؟**

"إنّ المنهجية الوضعية البرجماتية تختلف عن المنهجية التربوية الإسلامية في مكون مهم، وهو أنّ المنهجية البرجماتية لا تعترف بالوحي مصدراً من مصادر المعرفة" (الزنيدي، 1998، ص478). "وتعتبر الإحساس وحده أو الإحساس والعقل هما وحدهما مصدر العلم والمعرفة، سواء كانت تلك المعرفة معرفة طبيعية أم معرفة إنسانية، وقد ترتب على ذلك أن أخضعت الظواهر الاجتماعية والإنسانية للتجريب" (أمزيان، 1992، ص31). "وكأن الظواهر الاجتماعية والإنسانية إنما هي مجرد أشياء مادية، وبذلك تحول الإنسان من كائن مكرم: مادة وروح، إلى مجرد مادة لا أكثر ولا أقل" (النقيب، 2011، ص115). حتى جاءت دعوات وصرخات المربين الغربيين ومعهم بعض المربين المسلمين إلى نفي وجود المعرفة الغيبية في البناء التربوي؛ لصعوبة تأييدها وإثباتها، ولذلك عدّوا الغيب خطراً على النظام التعليمي ومحتواه (الدغشي، 2002).

لذا اعتبرت النظرية التربوية البرجماتية الأمور الميتافيزيقية مسائل لا نستطيع التحقق منها بصورة مباشرة عن طريق الخبرة الفعلية، وبالتالي يجب ألاّ تثار، فكان من مبادئها بطلان العبارات الميتافيزيقية؛ لانعدام البرهنة عليها (العاني، 2003)**.** وبالتالي فإنّ "ديوي لا يعتقد بالروح، ويحاول أن يستخدمها كمصطلح للتعبير عن خصائص أو سمات متناغمة" (الشرع، 2004، ص170).

ومن هنا يمكن إبراز أهم أوجه المقارنة بين النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية، وذلك من خلال النقاط الآتية:

1. تؤكد النظرية التربوية الإسلامية على المعرفة الغيبية، وأنها مصدر من مصادر نظريتها، وفي المقابل ترفض النظرية التربوية البرجماتية القضايا الغيبية، وترفض الجانب الروحي في الإنسان، ومن الواضح أنّ تصورات النظرية التربوية البرجماتية في هذا الجانب "هي تصورات لا علمية، وفردية تأخذ بالإرادة المتطرفة" (غنام، 1978، ص87)."وفيها استهتار صريح بالدين؛ حيث نظر إليه من خلال المنفعة التي تنتج عنه، بغض النظر عن مقاصده الشرعية ومعانيه السامية" (الحجيلي، د. ت، ص323).
2. في النظرية التربوية الإسلامية يتكامل عالم الغيب مع عالم الشهادة، فلا عزلة ولا فرقة بين كلا العالَمَيْن، فعلاقتهما تتصف بالتبادل والتجدد، الأمر الذي ينتج عنه الوصول إلى المعارف اليقينية الحقة، بينما هذه الفكرة مرفوضة في النظرية التربوية البرجماتية، وعليه فالناتج هو القصور في حصولها على المعرفة الحقة، وبالتالي تجد الاختلاط والاضطراب واضحاً؛ لاعتمادها على طريق واحد في الحصول على المعارف، ومن هنا يلحظ أنّ الميتافيزيقيا والعلم في النظرية التربوية البرجماتية ندين متناقضين، والسبب في ذلك الإرهاب والقسوة التي صاحبت المفاهيم الميتافيزيقية والمتمثلة معظمها في رجال الكنيسة، وبسبب الممارسة السيئة لرجال الدين الكنسي ظهر الانطباع بأنّ الميتافيزيقيا تعني التخلف ومحاربة كل سبل التقدم، لذا انتهى الأمر بمعظم رجال العلم والفكر في أوروبا أنّ نبذوا الميتافيزيقيا، في حين تقر النظرية التربوية الإسلامية بأنّ الميتافيزيقيا والعلم نشاطان مختلفان من أنشطة الإنسان وممارساته الفكرية، فهما وجهان متكاملان من المعرفة.
3. إنّ مفهوم الكون من المفاهيم الوجودية الكبرى التي تؤسسها العقيدة في بناء النظرية التربوية الإسلامية، والتي ترى أنه مخلوق من مخلوقات الله تعالى، خلق لهدف وغاية، وهو خاضع لسنن معينة، وهو مسير بقدرة الله، كما أنه قانت لله تعالى، وفي المقابل يُلحظ في النظرية التربوية البرجماتية أنّ مثل تلك المفاهيم متضاربة أو قاصرة تجاه الكون والوجود، فهي تنظر إلى الكون على أنه محكوم بقوانين التغير، كما أنه ليس آمنًا، وبالتالي فالمستقبل مجهول، كما يرون أنّ الكون متعدد، وأنه ذو معالم كثيرة مختلفة، ومتنوعة، وأنه ما زال في مرحلة التكوين.
4. إنّ الإنسان في النظرية التربوية الإسلامية له مكانته وأهميته في الوجود، لكن لم تجعله أساساً لكل شيء، ولم تجعل النفع وحده معياراً للحقيقة والمعرفة كما فعلت النظرية التربوية البرجماتية التي بذلك حولت قيم الحياة إلى قيم مادية نسبية قابلة للتغير باستمرار، وكأنها بصورة غير مباشرة لا تعترف بالمعارف الدينية إلا بالقدر الذي يحقق نفعاً مادياً ملموساً للإنسان، فهي ذلك تجعل المفهوم المادي فوق كل اعتبار.
5. يُلحظ وجود التناقض في مصادر المعرفة عند النظرية التربوية البرجماتية، فالعقل ليس هو مصدر المعرفة، بل التجربة العلمية أيضاً، والمعرفة تنطلق من الحواس وتنتهي بالتجربة، وتعد الحواس طريقاً أساسياً للتجربة العلمية، ثم تقوم بتصنيف التفكير العقلي كمصدر من مصادر المعرفة، وحتى تخرج هذه الفلسفة من الإشكال تبين أنها تقصد بالتفكير ما ينتج عن نشاط الفرد وتفاعله مع البيئة، وقالت ذلك حتى لا يخرج التفكير العقلي عن التجربة والخبرة، "أيضاً رغم المحاولات العديدة لشرح المقصود بمفهوم ( (Mindفإنّ هذا المفهوم يحمل كثيراً من الغموض؛ لأنّ المصطلح يترجم إلى العربية على أساس أنه (فكر) ، وعلى أساس أنه (عقل) والفرق بين المصطلحين كبير، فالفكر معناه نتاج عملية فكرية، وعليه سيكون الفكر تابعاً لعقل ما أو تابعاً لعملية عقلية، ووجود الفكر يتوقف على من يقوم بعملية التفكر وهو العقل، أو على العملية الفكرية ذاتها التي أنتجت فكراً ما، ومن هنا يتم الإقرار بتبعية الفكر كأداة العقل، وبناءً على ذلك لابد من تحديد الفرق بين الاستعمالين المترجمين لمصطلح ( (Mind(بالروين، 1999).

**الخاتمة**

* **أولاً: نتيجة السؤال الأول**: والذي ينص على **"ما مفهوم النظرية التربوية الإسلامية؟"** كانت على النحو الآتي: إنّ النظرية التربوية الإسلامية هي مجموعة من المبادئ والمفاهيم والحقائق المترابطة والمتسقة فيما بينها، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تؤثر بشكل مباشر في جميع مسارات العمل التربوي، سواء العمل التربوي الفكري أم العملي؛ بهدف إعداد الفرد والجماعة للحياة الدنيا، والفوز بالآخرة.
* **ثانياً: نتيجة السؤال الثاني**: والذي ينص على **"ما طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية؟"** كانت على النحو الآتي: تتكون طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية من جانبين مهمين، هما: المصدرية والتكاملية، وانعكاسهما على الإنسان والكون والحياة، حيث يعد الوحي المصدر الرئيس للمعرفة الإسلامية وأكثرها أهمية وشأناً وصدقاً وثبوتاً، بالإضافة إلى تكامله وتداخله مع عالم الشهادة؛ لأنّ العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة علاقة متبادلة ومتجدِّدة، وبالتالي ينعكس ذلك على الإنسان من جانب حقيقته وأصل خلقه وتكريمه، وينعكس على الكون من جانب أنّه مخلوق لهدف وغاية، كما ينعكس على الحياة كونها دار ابتلاء واختبار.
* **ثالثاً: نتيجة السؤال الثالث**: والذي ينص على **"ما طبيعة الغيب في النظرية التربوية البرجماتية؟"** كانت على النحو الآتي: تنكر النظرية التربوية البرجماتية الغيب، وتعتبر الخبرة والنشاط الإنساني المصدر الرئيس للحصول على المعرفة، كما أنها تستهتر بالدين؛ حيث تنظر له من خلال المنفعة التي تنتج عنه، بغض النظر عن مقاصده الشرعية، ومعانيه السامية، لذا فهي لا تحمل في طياتها أية قيم أخلاقية أو إنسانية، إذ ليس فيها مجال للقيم الأخلاقية والإنسانية؛ لأنّ أساس التعامل بين أفرادها هي المصلحة.
* **رابعاً: نتيجة السؤال الرابع**: والذي ينص على **"ما أبرز أوجه المقارنة بين طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البرجماتية؟"** كانت على النحو الآتي: تؤكد النظرية التربوية الإسلامية على المعرفة الغيبية أنها مصدر من مصادر نظريتها، وفي المقابل ترفض النظرية التربوية البرجماتية ذلك، وفي النظرية التربوية الإسلامية يتكامل عالم الغيب مع عالم الشهادة، بينما هذه الفكرة مرفوضة في النظرية التربوية البرجماتية، **و**مفهوم الكون في النظرية التربوية الإسلامية أنه مخلوق من مخلوقات الله تعالى، خلق لهدف وغاية، وفي المقابل ترى النظرية التربوية البرجماتية أنه محكوم بقوانين التغير، وأنه ليس آمنًا، وما زال في مرحلة التكوين، وأنّ الإنسان هو أساس كل شيء، والنفع وحده هو معيار الحقيقة والمعرفة.

**التوصيات**

* أشارت نتائج السؤال الأول إلى إنّ النظرية التربوية الإسلامية هي مجموعة من المبادئ والمفاهيم والحقائق الإسلامية التي تؤثر بشكل مباشر في جميع مسارات العمل التربوي، لذا توصي الدراسة المسؤولين بمراجعة دائبة وتجديد متواصل للصياغات والأعمال التربوية، ومحاكمتها من منظور تربوي إسلامي، لا سيما في جانب المناهج والأهداف والمحتوى التي كانت ولا تزال تتأثر بالنظريات الغربية.
* أشارت نتائج السؤال الثاني إلى إنّ طبيعة الغيب في النظرية التربوية الإسلامية تتكون من جانبين مهمين، هما: المصدرية والتكاملية، وانعكاسهما على الإنسان والكون والحياة، ومن هنا توصي الدراسة المؤسسات التعليمية بضرورة تكامل مصادر المعرفة بين عالمي الغيب والشهادة؛ لدفع ما قد يُتوهم من تعارضهما تعارض العلم والدين.
* أشارت نتائج السؤال الثالث إلى إنّ النظرية التربوية البرجماتية تنكر الغيب، وتعتبر الخبرة والنشاط الإنساني المصدر الرئيس للحصول على المعرفة، ومن هنا تؤكد الدراسة على ضرورة إفراد دراسات مقارنة بين النظرية التربوية الإسلامية وغيرها من النظريات الأخرى؛ للكشف عن آثار التبعية التربوية التي سار ولا يزال يسير عليها الكثير من التربويين الإسلاميين، بل وللأسف يضفون عليها حالة من التقديس، ومن ثم التأكيد على ضرورة الأخذ بالمنهج التربوي الإسلامي؛ ليكون ذلك ركيزة أساسية في طريق الإصلاح التربوي.
* أشارت نتائج السؤال الرابع إلى إنّ المعرفة الغيبية مصدر من مصادر النظرية التربوية الإسلامية، بالإضافة إلى تكامل عالم الغيب مع عالم الشهادة، وأنّ الكون مخلوق من مخلوقات الله تعالى، خلق لهدف وغاية، وبالتالي لابد أن تُبنى المناهج التعليمية سواء في المرحلة المدرسية أم الجامعية على الأساس العقدي، بعيداً عن تأثير أفكار النظريات التربوية الأخرى، لا سيما البرجماتية.

**فهرس المصادر والمراجع**

* إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د. ط.
* ابن الأثير، المبارك بن محمد. (1963). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر الزواي، بيروت: الحلبي.
* أحمد، محمد. (2003). في فلسفة التربية: نظرياً وتطبيقاً. ط2، عمان: دار المناهج.
* الأصفهاني، الراغب. (2009). معجم مفردات ألفاظ القرآن. بيروت: دار الفكر.
* البخاري، محمد بن اسماعيل. (2001). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير، ط1، بيروت: دار طوق النجاة.
* البزار، أحمد بن عمرو. (1988). مسند البزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط1، المدينة المنورة: العلوم والحكم.
* تركي، عبدالفتاح. (د. ت). فلسفة التربية مؤتلف علمي نقدي، القاهرة، الأنجلو المصرية.
* التهانوي، محمد. (1996). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط1، بيروت: مكتبة لبنان.
* التوم، بشير الحاج. (1991). مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية. عمان: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
* ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. (2000). النبوات. تحقيق: عبدالعزيز الطويان، ط1، الرياض: أضواء السلف.
* جعنيني، نعيم. (2004). الفلسفة وتطبيقاتها التربوية. عمان: دار وائل.
* جنزرلي، رياض. (1994). الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة. ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية.
* حراحشة، أحمد، (2010). الكون بين التربية الإسلامية والتربية الوضعية، رسالة دكتوراه، الأردن: جامعة اليرموك.
* حسن، محمد. (1996). الفلسفة البرجماتية لدى وليم جيمس، مجلة المعرفة، عدد 393.
* خطاطبة، عدنان. (2010). الأصل العقدي للتربية الإسلامية، إربد: دار الكتاب الثقافي.
* خطاطبة، عدنان. (2007). المعرفة الغيبية في الإسلام ووظائفها التربوية. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد4، عدد3.
* خياط، محمد جميل. (2003). النظرية التربوية في الإسلام "دراسة تحليلية". ط2، د. م.
* الدغشي، أحمد. (2002). نظرية المعرفة في القران وتضميناتها التربوية. دمشق: معرفة الإنسان.
* رشوان، محمد. ( 1995). مدخل إلى الفلسفة المعاصرة. القاهرة: دار الثقافة.
* رضا، محمد رشيد. (1999). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
* زرزور، عدنان. (1992). التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف: مفهومه وأهدافه. بيروت: مؤسسة الرسالة.
* زرزور، عدنان. (د. ت). مقالة في المعرفة. دمشق: دار الفتح.
* الزناتي، عبدالحميد. (1993). فلسفة التربية في القران والسنة. ط1، القاهرة: الدار العربية.
* الزنيدي، عبدالرحمن. (1998). مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر. ط1، الرياض: دار اشبيليا.
* السحماوي، ابتسام. (2003). فلسفة التربية. القاهرة: دار الفكر العربي.
* سعد الدين، صالح. (2001). التحولات العلمية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وأثرها في العقيدة. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ع (20).
* أبو سليمان، عبدالحميد. (1981). أزمة العقل المسلم. فرجينيا: المعهد العلمي للفكر الإسلامي.
* أبو سليمان، عبدالحميد. (1989). قضية المنهجية في الفكر الإسلامي. الرياض: الدار العالمية.
* الشريفين، عماد ومطالقة أحلام ونصيرات، رائدة. (2013). مصادر المعرفة في القران الكريم والفلسفات التربوية. مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد الثلاثون.
* الشيباني، عمر. (1983). تطور النظريات والأفكار التربوية. مصر: الدار العربية للكتاب.
* ابن أبي شيبة. (1997). مسند ابن أبي شيبة. عبدالله بن محمد. ط1، الرياض: دار الوطن.
* ابن عاشور، محمد. (1984). التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون.
* عبدالرحمن، عبدالراضي. (2002). دراسات في فلسفة التربية المعاصرة. القاهرة: دار الفكر.
* عبدالله، صالح. النظرية العامة للتربية. (1991). عمان: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
* علي، سعيد اسماعيل. (1993). أصول التربية الإسلامية. القاهرة: دار الفكر العربي.
* العموش، بسام. الإيمان بالغيب. (2010). ط1، العبدلي: دار المأمون.
* ابن فارس، أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد. تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر.
* فرغل، يحيى هاشم. (1990). وجهة نظر في العلاقة بين العلم والدين. فيرجينيا: المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي.
* الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب.(2005). القاموس المحيط. تحقيق: مؤسسة الرسالة.
* القرطبي، محمد. (2004). الجامع لأحكام القران. تحقيق: سالم مصطفى، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.
* قطب، سيد. (1983). خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. ط3، ميونخ: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظَّمات الطلاَّبية.
* قطب، محمد. (2001). ركائز الإيمان. ط1، القاهرة: دار الشروق.
* ابن كثير، إسماعيل. (1999). تفسير القران العظيم. تحقيق: سامي سلامة، ط2، القاهرة: دار طيبة للنشر.
* الكردي، راجح. (2003). نظرية المعرفة في القران والفلسفة. عمان: دار الفرقان.
* الكيلاني، ماجد. (1985). تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية. ط2، دمشق: دار ابن كثير.
* الكيلاني، ماجد. (2009). فلسفة التربية الإسلامية. ط1، عمان: دار الفتح للدراسات.
* مدكور، علي. (1990). منهج التربية في التصور الإسلامي. بيروت: دار النهضة العربية.
* مرسي، محمد. (1995). فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها. القاهرة: عالم الكتب.
* ابن منظور، محمد. (1994). لسان العرب. ابن منظور ، محمد بن مكرم. ط2، بيروت: دار صادر.
* مور، النظرية التربوية. (1986). ترجمة: محمد الصادق، القاهرة: مكتبة النهضة.
* النحلاوي، عبدالرحمن. (1979). أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ط1، دمشق: دار الفكر.
* نيلو، جورج. (1977). مقدمة في فلسفة التربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
* هويدي، يحيى. (1979). مقدمة في الفلسفة العامة. القاهرة، دار الثقافة.
* الالوسي، محمود. (د. ت). روح المعاني، لبنان: دار الفكر.
* يالجن، مقداد. (1986). جوانب التربية الإسلامية الأصلية. ط1، مصر: مكتبة الخانجي.
* يالجن، مقداد. (1991). معالم بناء نظرية التربية الإسلامية. عمان: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.